منحوتات البدوء

د. عبد المجيد نصير
عضو المجمع

مما طرأ علينا ونحن نترجم ونعرب المعارف المختلفة في السنين الأخيرة، أن الأجانب يكثرون من استعمال كلمات منحوتة من حروف تكون أوائل عدة كلمات. هذه الحروف تؤلف كلمة جديدة، يسمونها في الانجليزية Acronym. وهذه الكلمة الأجنبية هي من تركيب كلمتين يونانيتين: فوق Acro، اسم nym. واستعمال هذه الكلمة كدلالة على هذا المفهوم الجديد هو استعمال حديث، ترجعه إحدى المعلمات[1] الى الحرب العالمية الثانية. بل إن قاموس أوكسفورد الشهير لا يحتوي هذه الكلمة في مسرده. ومن أشهر الكلمات التي يعرفها حتى الصغار منا، وعلى مستوى العالم أجمع، رادار Radar. وهي مكونة من أوائل الكلمات Radio Detection And Ranging أي (كشف وتحديد المدى بالراديو). والذي يميز هذه المنحوتات، هو لفظها كلمة واحدة. وليس حروفا مقطعة. وقد آثرت أن أترجمها الى منحوتات البدوء.

وقبل أن نتحدث في هذه المشكلة الطارئة على العربية، وكيف نتعامل معها، فإني أتحدث عن مفاهيم ذات علاقة بها، قد يلتبس أمرها على كثير من الناس، وأعني بذلك الرموز والمختصرات.

الرموز Symbols:

هنا يستعاض عن كلمة ما بأحد حروفها، قد يكون في أولها أو في وسطها أو آخرها. وقد لا يكون من حروفها. فنحن في العربية نستعمل الحرف س للمجهول (وقد نستعمل غيره) ولا علاقة لهذا الحرف بلفظ المجهول. وطبعا، المجهول قد يكون أي شيء.

ونستعمل س للدلالة على المحور السيني، وهنا س لها علاقة بما تدل عليه. وقد نستعمل أكثر من حرف، او نستعمل حرفا مع دليل علوي أو سفلي يكون رقميا، مثل $س^{(1)}$ او $ن_{(1)}$، أو قد يكون الدليل حرفا آخر، مثلا $م_{ر}$ (معامل رينولدز)، وهكذا. وليس هناك من منهجية محددة عند الأجانب — وهم من أشاعوا استعمالها — حتى نستدل بهذه المنهجية على كيفية اختيار الرمز المناسب. والأجانب محظوظون بوجود الحرف اللاتيني الكبير والصغير، وكذلك الحرف اليوناني الصغير والكبير. وربما استعملوا حروفاً أخرى مثل حرف الف ℵ العبراني للدلالة على العدد الأصلي للأعداد الطبيعية، او قد يستعملون أشكالاً أخرى للحروف اللاتينية.

وقد تصدى مجمع اللغة العربية الأردني لهذه القضية. وألّف لجنة منذ سنة ١٩٨٢ لوضع حلول لها، انتهت سنة ١٩٨٥ الى وضع كتاب نشره المجمع عنوانه «مشروع الرموز العلمية العربية»[٢] حرره الأستاذ الدكتور أحمد سعيدان، عضو المجمع. وكاتب هذه السطور كان أحد أعضاء هذه اللجنة. ثم عقد اتحاد المجامع العربية ندوة الرموز العملية في رحاب المجمع الأردني في الفترة من ٢٧ — ٢٩ كانون الثاني سنة ١٩٨٧. ودرس هذا المشروع وغيره، وانتهى الى إقرار صيغ نهائية في رموز الرياضيات والفيزياء والكيمياء.

واستعمال الرمز شائع جدا في الرياضيات، حتى صارت لغة رموز واشارات. ولا يمكن الاستغناء عن الرمز الرياضي مع كثرة المعادلات والصيغ الرياضية التي لا تجد بديلا له. وربما كان اليوناني ديوفانطس (القرن الثاني الميلادي) أول من أدخل الرمز الرياضي في كتابه «الأرثماليقي»، فقد استعمل الشكل ς للمجهول (من ارثموس (axvomos) والشكل Δ^{γ} للمربع (من دونامس (dunamis)، K^{γ} للمكعب من (كوبوس (kubos)... الخ. كما استعمل الاشارة $\tilde{I}$ (وهي مقلوب ш) للطرح، والاشارة L للمساواة، واستعمل احيانا M للجمع.

ويذكر هنا، أن أشكال الأرقام التي أخذناها عن الهند هي أيضا رموز للاعداد. وقد قدم ابن البناء المراكشي (١٢٥٦ — ١٣٢١ م) اشارة (ـــ) للكسر العادي.

على أن استعمال الرموز وأشكال خاصة للاشارات شاع في أوروبا ابتداءً من القرن

السادس عشر. والانجليزي روبرت ريكورد Recorde (١٥١٠-١٥٥٨) استعمل اشارات +، -، = بالمعنى المعروف اليوم في احد كتبه المنشورة سنة ١٥٥٧. أما فرانسوا فيتا الايطالي (١٥٤٠-١٦٣٠)، فقد استعمل الحروف الساكنة للدلالة على المعلوم، وحروف العلة للدلالة على المجهول. بيد أن إشارتي الضرب (.، ×) لم تستعملا إلا حوالي ١٦٣٠ من قبل توماس هاريوت ووليم اوغفرو على التوالي. كما ان الالماني راهن استعمل (÷) للقسمة. ونذكر هنا، أن بعض هذه الرموز كان يستعمل لدلالات أخرى (÷ استعمل للطرح مثلا)، ومضت فترة ليست بالقصيرة حتى ثبت استعمالها. ولقد قدم السويسري اويلر (١٧٠٧-١٧٨٣) رموزا كثيرة منها e ، π ، i. كما أن رمز التكامل ∫ قدمه الالماني لايبنتز (١٦٤٦-١٧١٦) عندما اخترع التكامل والتفاضل.

وليست الرموز اليوم حكراً على الرياضيات أو الفيزياء، بل إنك تجدها في كل ميدان من ميادين المعرفة، وفوائدها أوضح من أن تذكر. بل إن شيوعها في ميدان ما من ميادين المعرفة، دلالة على أن هذه المعرفة اقتربت من أن تكون علمية. وهذا وصف محبب هذه الايام، لانه يعني، فيما يعني، الدقة والموضوعية، والصحة.

المختصرات Abbreviations

قد يكون المختصر لكلمة واحدة، أو لعدة كلمات. وفي كل حال، فهو استعمال حرف أو أكثر من كل كلمة. وعادة ما نلفظها حروفا مقطعة. ولقد شاع استعمال المختصرات قديما، للحاجة إليها، وبخاصة عندما تكون كلمة أو أكثر تتردد كتابة (أو قراءة) عدة مرات في سياق ما.

وكما ذكر الدكتور ابراهيم السامرائي في مقالته «المختصرات والرموز في التراث العربي»[٣] فقد استعملها الكتاب القدامى، وبخاصة أهل الحديث، عندما استعاضوا مثلا عن أخبرنا أو حدثنا أو أنبأنا بالحرفين نا. وتجد في كتب الاحاديث مختصرات لصحة الحديث ولتخريجه. ومن أمثال ذلك ما يذكره السيوطي في مقدمة كتابه «الجامع الصغير»[٣]، على النحو التالي:

(خ) للبخاري، (م) لمسلم، (ن) لهما، (د) لأبي داود، (ت) للترمذي، (ن) للنسائي، (هـ) لابن ماجة، (٤) لهؤلاء الأربعة، (٣) لهم إلا ابن ماجة، (حم) لأحمد في المسند، (عم) لأبي عبد الله في زوائده، (ك) للحاكم في المستدرك، (خد) للبخاري في الأدب، (تخ) له في التاريخ... الخ، كذلك يستعمل (صح) للحديث الصحيح، (ح) للحسن، (ض) للضعيف.

وتوجد فارق بين المختصر، ومنحوت البدوء، فالمختصر يلفظ حرفاً، بينما منحوت البدوء يلفظ كلمة واحدة. ومثل لذلك بمثل من الانجليزية. فإن AWOL إنْ لفظت حرفا حرفا فهي مختصر، وهي هكذا كانت في البداية أيام الحرب العالمية الثانية، أما إن لفظت كلمة واحدة (أول)، فهي منحوت البدوء، وهي من الكلمات: Absent Without Leave – ولا نلفظ المختصرات حرفا حرفاً، بل نردها إلى أصلها. مثلا نكتب الرسول (ص). ولا نقول (ص) فهي مستهجنة، بل نقرأ الرسول ﷺ. وهذا يوضح فرقا بين كلمتين شائعتين في درجة القبول العام. كذلك الحال، فإنك لن تجد آيدز AIDS في قاموس مطابع سنة ١٩٨٠م، وهذه الكلمة منحوتة من العبارة الانجليزية. ولذلك فان الفرنسيين يستعملونها ويفضلون عليها (سيدا CIDA) المنحوتة من المقابل الفرنسي.

يمين الصفدي في التعريب أن بعضهم حاول أن يعطي منحوتة بدوء للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. فقالوا إنه يونسكو عربية، أما المنظمة فإنها نحتت من الترجمة الانجليزية والتقطت لنفسها قبعة على نوب عربي، ورضيت بالمنحوت (ألكسو).

المشكلة والحل:

ابتداء، لا يجوز أن نرفض مبدأ منحوت البدوء في اللغة العربية، فهي لغة مرنة، قادرة على الرمز، والمختصر، والمصطلح، وقادرة على منحوت البدوء، ثم إن البديل الآخر هو استعمال المنحوت الاجنبي – الانجليزي أو الفرنسي، وتعريب لفظه إن استطعنا، وأحيانا لا يكون ذلك سهلاً. مثلا UHF. VHF للذبذبات العالية.

إن أحد أسباب هذه المشكلة هو التخلف العلمي، فنحن لا نبدع العلوم، ولا نشارك

مشاركة فعالة ذات أهمية في إبداعها، وجل عملنا هو الترجمة، وحتى الترجمة ما تزال متخلفة في ركاب العلم الذي يبرز فيه كل جديد كل أوان. ثم إن وسائل الاتصال الفورية من تلفاز وإذاعةٍ وصحافة تفرض علينا نقل الخبر أو المقالة، وفيها من الكلمات والرموز والمختصرات ونحوت البدوء ما هو جديد. ووسيلة الاعلام ليس عندها الوقت لكي تسأل المجامع اللغوية. وحتى لو سألت فان الجواب سينتظر شهوراً عدة. لذلك، فهي تترجم كيفما اتفق لذوق المترجم وعلمه (أو جهله). وتنشر ترجمتها كتابة وكلاما في أعين الناس وفي آذانهم. وبعض ما تنشره يستقر، وبعضه قد لا يستقر، أو قد يبدل بعد حين. فهل على المجامع أن تقنع بدور المتفرج أم عليها أن تطلب من وسائل الاعلام أن يرسلوا إليها ما عندهم ليغربلوه ويمحصوه؟ أم على المجامع نفسها أن تنظر في إنتاج الوسائل الاعلامية، لتمحص وتختار المناسب؟ إن هذه المشكلة ليست من باب الترف، بل من باب الواقع. ولا بد من أن تتطور وسائل المجامع لتستطيع أن تلبي هذه الحاجات، وتحل هذه المشكلات قبل استفحالها. وإنني في هذا المجال أقترح ما يلي:

(١) قبول الكلمات المنحوتة التي شاعت، وقد مضى عليها زمن، إذا وافقت الجرس العربي مثل رادار، لَيْزر، ايدز. وبخاصة، أن الناس لن تقبل لها بديلاً.
(٢) بالنسبة الى الكلمات هي أقل شيوعاً. يفضل ترجمتها، واعطاؤها مصطلحاً مناسباً.
(٣) يجب أن تبدأ المجامع بوضع منهج لكلمات منحوتة البدوء.
(٤) على المجامع الاهتمام بالكلمات الجديدة الوافدة، ومعالجتها عربياً قبل ان يستفحل شرها في أوساط الناس، ويعتادوا عليها.
(٥) على المجامع تنشيط لجان الاعلام فيها، لتكون وسيلة لنقل ما عند الناس ووسائل الاعلام الى المجمع، ثم نقل نتائج المعالجات المجمعية الى وسائل الاعلام والى المنتفعين، والى المختصين.

المراجع

(1) Encyclopedia America,Vol I 1981 ,P.120 Crolier Inc,Danbury.

(٢) احمد سعيدان مشروع مجمع اللغة العربية الاردني للرموز العلمية العربية عمان ١٩٨٥

(٣) ابراهيم السامرائي «المختصرات والرموز في التراث العربي» مجلة مجمع اللغة العربية الاردني المجلد ٣٢، ١٩٨٧

(4) Webster New Collegiate Dictionary , G C Merriam Co publishers, Springfield, Second Ed,,1957

(5) Burton David , M.The History of Mathematics Alyn and Bacon, Boston 1985.

(6) Boyer Carl, B.A History of Mathematics John Wiley and sons , New york 1968

(7) Kramer , Edna. E, The Nature and Growth of Mathematics, Hawthorn Books, New York, 1970.

رسالة في «إبطال احكام النجوم»
للفيلسوف البغدادي أبي القاسم عيسى بن علي

دراسة وتحقيق الدكتور سحبان خليفات
الجامعة الأردنيـة

الفلسفة الاسلامية وعلم أحكام النجوم:

ترمي هذه المقدمة الى رسم الاطار الثقافي الذي تندرج فيه الرسالة موضوع التحقيق، وذلك ببيان التطور التاريخي «لعلم النجوم» في الثقافة الاسلامية وفي حدود ما اسهم به الفلاسفة المسلمون. لقد حدد الفارابي مفهوم هذا العلم في كتابه «احصاء العلوم» فقال: «أما علم النجوم فان الذي يعرف بهذا الاسم علمان: أحدهما علم أحكام النجوم، وهو علم دلالات الكواكب على ما سيحدث في المستقبل، وعلى كثير مما هو الآن موجود، وعلى كثير مما تقدم. والثاني: علم النجوم التعليمي وهو الذي يعد في العلوم من التعاليم»[1]. وواضح من هذا أن الرسالة التي نقدم لها تدخل ضمن مؤلفات «علم احكام النجوم».

ترجع عناية المسلمين بهذا «العلم»، فيما يقول نلينو، الى أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، حيث «نقل أبو يحيى البطريق كتاب الاربع مقالات لبطليموس في

---

(١) أبو نصر الفارابي (محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ، ت ٣٣٩ هـ/ ٩٥٠ م): احصاء العلوم، تحقيق د. عثمان أمين، ط ٣، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨، ص ١٠٢-١٠٣. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: الفارابي: احصاء العلوم.

صناعة أحكام النجوم[٢]». غير أن ابن النديم يقول عند حديثه عن «كتاب الأربعة»: «**نقل هذا الكتاب ابراهيم بن الصلت، وأصلحه حنين بن اسحق.** وفسر المقالة الأولى، اوطوقيوس، وجمع المقالة الأولى ثابت [بن قرة]، وأخرج معانيها. وفسره عمر بن فرخان، وابراهيم بن الصلت، والنريزي، والبتاني». [٣]

لقد نسب الى بطليموس كتاب آخر في «التنجيم» بعنوان «الثمرة». وقد لقي هذا الكتاب اهتماما كبيرا لدى مثقفي القرن الرابع للهجرة وفلاسفته. فقد فسره «أحمد بن يوسف المصري المهندس[٤]»، المعروف بابن الداية (والمتوفى بعد عام ٣٣٠ هـ). كما تحدث عنه أبو سليمان المنطقي السجستاني في «المقابسات»، ونقل عنه أبو حيان التوحيدي في الكتاب المذكور صفحات عديدة.

أما مؤلفات ذورثيوس Dorotheus العديدة في التنجيم فقد نقلت ايضا الى العربية في ذات الفترة. «وهذه الكتب فسرها عمر بن الفرخان الطبري[٥]»، وتولى اذاعتها ما شاء الله الذي «كان ... أوحد زمانه في علم الأحكام». [٦].

---

(٢) كرلو نلينو: علم الفلك، تاريخه عند العرب في القرون الوسطى، روما، ١٩١١، ص١٤٦. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد هكذا: نلينو: علم الفلك. وقد ذكر كتاب بطليموس بعناوين متعددة: (١) كتاب في القضاء من النجوم على الحوادث (في النسخة التي ترجمها حنين بن اسحق، والموجودة في احدى مكتبات فيرنسي في ايطاليا)، (٢) كتاب المقالات الأربع في القضايا بالنجوم على الحوادث (حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، طبعة القسطنطينية، ١٣١١ هـ، ص٤٩٣. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: حاجي خليفة: كشف الظنون.) أنظر-نلينو: علم الفلك، ص٢١٧. (٣) كتاب بطليموس في القضاء على النجوم. (أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب- ابن النديم (ت بعد ٣٩٠ هـ/١٠٠٠م): الفهرست، تحقيق رضا تجدد، طهران، ١٩٧١، ص٢٢٧. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: ابن النديم: الفهرست.

(٣) ابن النديم: الفهرست، ص٣٢٧.

(٤) ابن النديم: الفهرست، ص٣٢٨. وقد وضع ابن الداية كتابا آخر عنوانه «أخبار المنجمين» (حاجي خليفة: كشف الظنون، ج١، ص٦٣).

(٥) ابن النديم: الفهرست، ص٣٢٨.

(٦) ابن النديم: الفهرست، ص٣٣٣. ويحمل كثير من مؤلفات «ما شاء الله» ذات عناوين مؤلفات «ذورثيوس» التي ذكرها ابن النديم. كما أنه قد نقل عنه عدة أقوال- فيما يقول نلينو- في مؤلفاته الموجودة «في ترجمة لاتينية قديمة فقط». (نلينو: علم الفلك، ص١٤٦).

واضح مما سبق أن «علم أحكام النجوم» قد حظي في القرنين الثاني والثالث للهجرة بمكانة عالية، دليل ذلك اهتمام المترجم الذائع الصيت، حنين بن اسحق، باصلاح ترجمة ابن الصلت لكتاب بطليموس، وقيام الرياضي والمترجم المعروف، ثابت بن قرة، بشرح المقالة الأولى من الكتاب. والحقيقة أن لثابت هذا كتابا عنوانه «ترتيب العلم» جاء فيه: «وأما علم القضاء من النجوم، فقد اختلف فيه أهله اختلافا شديدا وخرج فيه قوم الى ادعاء ما لا يصحّ ولا يصدق، بما لا اتصال له بالأمور الطبيعية، حتى ادعوا في ذلك ما هو من علم الغيب. ومع هذا فلم يوجد منه الى زماننا هذا قريب من التمام، كما وجد غيره»(٧).

لم تقتصر العناية بهذا العلم على المترجمين والرياضيين، بل تعدتها الى الفلاسفة، اذ وضع الفارابي رسالة بعنوان «النكت فيما يصح وما لا يصح من أحكام النجوم»، الى جانب «عيون المسائل(٨)»، وبيّن من عنوان الرسالة أن الاعتقاد بأحكام النجوم قد انتشر في الأمة بحيث أحس الفارابي بالحاجة الى الحديث عن هذا «العلم».

فاذا وصلنا الى عصر السجستاني ومسكويه وعيسى بن علي، وجدنا الفلاسفة مستغرقين في الحديث عن هذا العلم، والتأليف فيه. فابن الداية، صديق الوزير علي بن عيسى بن الجراح، قد وضع تفسيرا لكتاب «الثمرة» المنسوب لبطليموس، مع أنه صاحب كتاب في المنطق، كما وضع «الحسن بن سوار، المعروف بأبي الخير .. كتاب الآثار المخبأة بالجو(٩)». أما مسكويه فقد «ذكر في كتابه «مراتب العلوم وترتيب السعادات» ما يدل على علمه بها [أي بالنجوم]، والتنبيه على أنها دلالات على الحادثات»(١٠).

---

(٧) ابن قيم الجوزية (أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن أبي بكر، ت ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م): مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والارادة، نشر محمود حسن ربيع، ط ٢، مكتبة الأزهر، ١٩٣٩، ص ٥١٧. وسيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن القيم: مفتاح دار السعادة.

(٨) ابو نصر الفارابي: المجموع للمعلم الثاني، ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة، ١٩٠٧، ص ٦٥-٨٩.

(٩) أبو القاسم، رضي الدين، علي بن موسى بن جعفر بن محمد الطاووس الحسني (ت ٦٦٤ هـ): فرج الهموم في تأريخ علماء النجوم، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٦٨ هـ، ص ٢٠٣. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد هكذا: علي بن موسى: فرج الهموم.

(١٠) علي بن موسى: فرج الهموم، ص ٢٠٥.

من الطبيعي، في ظل ما سبق، أن ينهمك أفراد مدرسة السجستاني الفلسفية في معالجة موضوعات «علم أحكام النجوم». وقد أورد أبو حيان التوحيدي في «المقابسات» الكثير من أقوال أفراد هذه المدرسة في المسألة، بل خصص احدى المقابسات لتسجيل حوار جرى بينهم فيها، ولهذا الحوار أهمية كبرى في تصوير الحياة العقلية في تلك الفترة.

من ابرز حضور «مجلس أبي سليمان محمد بن طاهر بن بهرام السجستاني»، الى جانب التوحيدي، أفراد مدرسته: «أبو زكريا الصيمري، وأبو الفتح النوشجاني، وأبو محمد العروضي، والمقدسي، والقومسي، وغلام زحل. وكل واحد من هؤلاء إمام في شأنه، وفرد في صناعته». (١١)

انعقد المجلس وكانت القضية المطروحة على بساط البحث هي العلة في كون العلوم ذات فائدة في تغيير الأحوال، اذ «يقصد بالطب استدامة الصحة ما دامت الصحة موجودة، وصرف العلة اذا كانت العلة عارضة، وكذلك النحو.... وكذلك الفقه.. وكذلك الشعر... وكذلك الحساب... به صحت المعاملة، وقامت الدولة، وحرس الملك، وجبي المال، وأمن الغبن(١٢)». أما علم النجوم «فان صاحبه ان استقصى وبلغ الحد الأقصى في معرفة الكواكب، وتحصيل سيرها واقترانها، ورجوعها، ومقابلتها، وتربيعها وتثليثها... فانه لا يستطيع البتة قلب شيء عن شيء، ولا صرف أمر الى آخر، ولا تبعيد حال قد دنت، ولا نفي ملمة قد ألمت»(١٣).

يقول أحد الحضور: «إعْلَمْ ان العلم حق ولكن الاصابة بعيدة. وليس كل بعيد محالا، ولا كل قريب صوابا... لاشتباك هذا العالم السفلي بذلك العالم العلوي.. واذا صح هذا الاتصال والتشابك.. صح التأثير من العلوي، وقبول التأثير من السفلي، بالمواصلات الشعاعية، والمناسبات الشكلية، والأحوال الخفية والجلية»(١٤).

---

(١١) أبو حيان التوحيدي (علي بن محمد بن العباس، ت حوالي ٤٠٠ هـ/١٠١٠م): المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسين، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٧٠، ص٥٧. وسيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا، التوحيدي: المقابسات.

(١٢) التوحيدي: المقابسات، ص٥٨ – ٥٩.

(١٣) التوحيدي: المقابسات، ص٦٠ – ٦١.

(١٤) التوحيدي: المقابسات، ص٦٤ – ٦٥.

يتساءل فرد آخر من الحضور قائلا: «هل تصح الأحكام أم لا تصح؟. فكان محصول الجواب ان قال قائل: لا تصح بأسرها، ولا تبطل من أصلها[١٥]». وسر الصحة «أن هذا العالم السفلي.. متقبل لذلك العالم العلوي، شوقا الى كماله[١٦]» و«قال آخر: وانما وجب هذا التقبل والتشبه لان وجود هذا العالم وجود متهافت... فكان بهذا الوجه فقيرا الى ما يمده ويشده»[١٧].

يرجع متحدث آخر من الحضور تضارب المنجمين الى أنه «قد يغفل .. اعتبار حركات كثيرة من أجرام مختلفة... ومن الحكمة في هذا الاغفال، ان الله تقدس اسمه يتمم بذلك القدر المُغْفَل القليل الذي لا يؤبه له.. امرا لم يكن في حسبان الخلق»[١٨].

يرجع النوشجاني الخطأ في أحكام المنجمين الى أنه «يكون في طالعه ان يصيب ذلك الحكم» أو «أن لا يصيب منجمه في ذلك الحكم... فقال أبو سليمان: ما أحسن هذا»[١٩].

واضح تماما أن القوم يؤمنون – من حيث المبدأ – بامكانية معرفة المستقبل عن طريق النجوم، وجل خلافهم في سهولة هذا «العلم» أو صعوبته أو حكمة الله في طي معظم أحكامه[٢٠]». يقول العروضي: «قد يقوى هذا العلم في بعض الوقت حتى يشغف به، ويدان بتعلمه، بقوة سماوية. فيكثر الاستنباط والبحث وتشتد العناية والفكر، فتغلب الاصابة حتى يزول الخطأ، وقد يضعف هذا العلم في بعض الدهر فيكثر الخطأ فيه[٢١]». أما أبو القاسم غلام زحل فيتحدث عن أحكام النجوم قائلا: ان «صحتها وبطلانها متعلقان بآثار الفلك، وقد يقتضي شكل الفلك في زمان أن لا يصح منها شيء

---

(١٥) التوحيدي: المقابسات، ص ٦٥.
(١٦) التوحيدي: المقابسات، ص ٦٦.
(١٧) التوحيدي: المقابسات، ص ٦٦ – ٦٧.
(١٨) التوحيدي: المقابسات، ص ٦٧.
(١٩) التوحيدي: المقابسات، ص ٦٧ – ٦٨.
(٢٠) التوحيدي: المقابسات، ص ٦٩.
(٢١) التوحيدي: المقابسات، ص ٧٧.

وان غوص على دقائقها وبلغ الى أعماقها ... وقد يتحول هذا الشكل في وقت آخر الى أن يكثر الصواب فيها أو الخطأ أو يتقاربان[٢٢]». وفي النهاية يقف أبو سليمان السجستاني، رئيس المدرسة، قائلا: «هذا أحسن ما يمكن أن يقال في هذا الباب»[٢٣].

لم تكن عبارة السجستاني السابقة مجرد مجاملة للحضور، فقد نقل التوحيدي عنه قوله: ان «الكهانة قوة إلاهية توجد في شخص بعد شخص، بسهام سماوية، وأسباب فلكية، وأقسام علوية، فاذا توسطت .. يكون ما يبدو بها مشيرا الى غيب أمور الدنيا والى غيب امور الآخرة[٢٤]» . «فعلى هذا قوة المنجم متتبعة لآثار الكواكب تتبعا ضعيفا، لأن الآلة لا تساعده، والصبر لا يوافيه ... وليست قوة الكاهن كذلك، أعني ليست بتتبع بل هي كالالقاء والوحي .... فان اجتمعت القوتان .. ظهر كل أمر عجيب»[٢٥].

لم يقف الاعتقاد بأحكام النجوم عند من ذكرنا من المترجمين والرياضيين والفلاسفة، فقد نقل **الزمخشري** نفسه في كتابه «ربيع الأبرار» حكايات أبي معشر البلخي[٢٦] المنجم، مثلما نقلها **محمد بن عبد الملك الهمذاني** في تاريخه[٢٧]. وتعدى الأمر الى الأطباء حيث آمن كثير منهم بوجود علاقة بين الطب والنجوم، ومثل هذا اعتقاد «**علي بن رضوان المصري** (المتوفي سنة ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١ م)، **وابن بطلان** (المتوفي بعد سنة ٤٥٥ هـ / ١٠٦٣ م) أن صناعة الطب العملي تنتفع انتفاعا عظيما بمعرفة أحكام النجوم[٢٨]». أما ابن ملكا، أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي البلدي البغدادي (ت ١١٦٥ م)، فقد وجد نفسه مضطرا للرد على المنجمين واعتقاداتهم السخيفة[٢٩].

---

(٢٢) التوحيدي: المقابسات، ص٧٨. لقد تتلمذ غلام زحل في التنجيم على محمد بن علي التنوخي والد مؤلف «نشوار المحاضرة»، وصديق الوزير علي بن عيسى الجراح. (علي بن موسى: فرج الهموم، ص١٦٧).

(٢٣) التوحيدي: المقابسات، ص٧٩.

(٢٤) التوحيدي: المقابسات، ص ٢٠٩.

(٢٥) التوحيدي: المقابسات، ص ٢١٠.

(٢٦) علي بن موسى: فرج الهموم، ص ١٦٠. (٢٧) علي بن موسى: فرج الهموم، ص ١٦١ – ١٦٢.

(٢٨) نلينو: علم الفلك، ص٦٧ – ٦٨.

(٢٩) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، ص٥٠٧، حيث ينقل نصا لابي البركات من كتاب «التعبير» يرد فيه على المنجمين.

ليس سهلا على أي مفكر، في القرن الرابع الهجري، أن يقف في وجه تلك الموجة اللاعقلانية الكاسحة التي وصفناها. فمدرسة السجستاني تتنكر لتعاليم الفارابي، في هذا المجال، ويقع أفرادها ضحايا الخرافة. هنا نجد فيلسوفا، خرج على المألوف، وتصدى بكل قوة لتيار التنجيم والشعوذة، تصديا لا يتكرر من بعده الا على يد أبي العلاء المعري، ذلك هو عيسى بن علي بن الجراح، تلميذ يحيى بن عدي المنطقي بالتلقي المباشر، وتلميذ الكندي وأبي زيد البلخي بالدرس والاعتقاد.

سيرة الفيلسوف ومكانته في الفلسفة الأسلامية:

لم يكن الباحثون يعرفون عن هذا الفيلسوف أي شيء غير اسمه «عيسى بن علي». ذلك أن نيكولاس ريشر – وهو أفضل من درس تطور علم المنطق في الاسلام – قد عده «نسطوريا[٣٠]»، ويبدو أن الباحثين العرب، والمستشرقين معا، قد قبلوا هذا القول على أنه حقيقة نهائية لامراء فيها. لهذا لم يعد بوسعهم الربط بين عيسى بن علي (النسطوري) هذا وبين «عيسى بن علي» الذي ذكره أبو حيان التوحيدي ونقل بعض أقواله في عدد من كتبه، مثلما ذكره القفطي والشهرستاني والشهرزوري وغيرهم. كما لم يعد بامكانهم الافادة مما جاء عنه في كتب التراجم. ومن باب أولى فان دعوى نسطوريته قد صارت حجابا كثيفا حال دون التفتيش عن ترجمة له في كتب علماء الحديث. ولهذا وجدنا باحثا موسوعيا يقرر حديثا أن لعيسى «مؤلفات لم يصلنا منها أو عنها شيء في المصادر»[٣١].

---

(٣٠) Rescher (N.): The Development of Arabic Logic, University of Pittsburgh Press, 1964, P.138.
كل ما ذكره «ريشر» هو التالي: «كان عيسى بن علي نسطوريا وتلميذا ليحيى بن عدي في المنطق. كتب معجما سريانيا – عربيا. وينبغي الا يخلط بينه وبين أشخاص آخرين مختلفين، كان أحدهم تلميذا لحنين بن اسحق ويحمل ذات الاسم. ولا توجد لدينا أية معلومات فيما يتعلق بكتابات عيسى بن علي المنطقية». (المصدر السابق، ص١٣٨). والحقيقة أن «ريشر» نفسه قد وقع ضحية الخلط الذي حذر منه. انظر في هذا كتابنا «مقالات يحيى بن عدي الفلسفية – دراسة وتحقيق (قيد النشر)، ص٢٢ – ٢٣.

(٣١) د. عبد الأمير الأعسم: أبو حيان التوحيدي في كتاب المقابسات، ط١، دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ١٩٨٠، ص ٢٥٢.

ولكن ما أن ننحى دعوى ريشر جانبا، اذ لم يقدم أي دليل يثبتها، ونبدأ بالبحث عن حقيقة هذه الشخصية في كتب التراجم وعلماء الحديث، حتى تصير شخصية واضحة، بارزة في عصرها، وذات مكانة عالية في تاريخ الفلسفة الاسلامية.

ولد أبو القاسم، عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح، في بغداد عام ٣٠٢هـ/ ٩١٤م،وتوفي في المدينة نفسها عام ٣٩١ هـ/ ١٠٠١ م. وكان والده علي بن عيسى بن الجراح، محدّثا صادقا، وكاتبا بليغا، تولى الوزارة ثلاث مرات للخليفة المقتدر (٣٢)، ورابعة للقاهر (٣٣). وقد ترك مؤلفات قيمة في «معاني القرآن» و «سياسة المملكة وسيرة الخلفاء». وعرف عنه محبته للعلوم العقلية اليونانية (٣٤).

نشأ الابن «عيسى» وقد اكتسب ميول والده العقلية، فقد حصّل ثقافة ممتازة، على يد أبي بكر بن دريد، صاحب «الجمهرة في علم اللغة» (٣٥)، ودراسة دينية متعمقة في علمي «الحديث» و «التفسير»، على أيدي «البغوي»، وابن أبي داود السجستاني، وابن صاعد (٣٦)، وابن مجاهد، وغيرهم. وقد نبغ في هذه العلوم كلها حتى عدّ حجة في اللغة والأدب (٣٧)، وصاحب مدرسة في علم الحديث (٣٨).

---

(٣٢) ابن النديم: الفهرست، ص ١٤٢.

(٣٣) الحافظ الذهبي (شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان): سير أعلام النبلاء، ج ١٥، تحقيق شعيب الأرنؤوط وابراهيم الزيبق، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٩٨. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: الحافظ الذهبي: سير أعلام النبلاء.

(٣٤) ابن النديم: الفهرست، ص ١٤٢، وكذلك:

Harold Bowen: The Life and times of Ali Ibn Isa،Cambridge University Press, 1927, P.78.

(٣٥) الشهرزوري (شمس الدين محمد بن محمود): نزهة الأرواح وروضة الأفراح في تاريخ الحكماء والفلاسفة، ج ٢، تحقيق خورشيد أحمد، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٩٧٦، ص ١٥٠. وسيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: الشهرزوري: نزهة الأرواح.

(٣٦) ابن النديم: الفهرست، ص ٢٨٩.

(٣٧) الشهرزوري: نزهة الأرواح، ج ٢، ص ١٥٠. وكذلك عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ج ٨، مكتبة المثنى، ودار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٧، ص ٢٨.

(٣٨) ممن تلمذ عليه في الحديث: أبو القاسم الأزهري (٣٥٣هـ- ٤٣٩ هـ)، وأبو بكر الدقاق المعروف بابن الخاطبة. انظر في هذا الحافظ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٥، ص ٥٧٨، ٥٩٣. وياقوت الحموي: (أبو عبد الله، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي): معجم الأدباء، ج ٦، تحقيق د. س. مرجليوث، ط ٢، مطبعة هندية بالموسكي، القاهرة، ١٩٣٠، ص ٣٣٦.

أما في مجال العلوم العقلية فقد درس «علم الكلام» وكان على صلة باللغوي المتكلم أبي سعيد السيرافي، كما درس الفلسفة اليونانية، وبخاصة فلسفتي أرسطوطاليس وأفلاطون، والمنطق على يد تلميذ الفارابي النابغة، يحيى بن عدي[٣٩]. وكان يحضر مجالسه ويجتمع بفلاسفة العصر كابن الخمّار، وابن زرعة، وأبي سليمان المنطقي السجستاني. وتدل مقارنة الشذرات التي وصلتنا من مؤلفاته الفلسفية بمؤلفات فلاسفة ذلك العصر، وما قبله، «على معرفة عميقة بكتابات كل من الكندي، وأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، الذي نرجح.. أنه الفيلسوف الذي نسج عيسى بن علي على منواله»[٤٠]، اذ أخذ عنه بعض آرائه في «النفس» و «العلم»، مثلما أفاد من كتابات الكندي.

اشتهر عيسى بن علي بدرايته في العلوم العقلية، حتى عدّ «أوحد زمانه في المنطق»[٤١]، رغم أنه معاصر لمناطقة كبار مثل يحيى بن عدي، وأبي سليمان السجستاني، وقيل بأنه كان «كبيرا في علم الأوائل»[٤٢]، أي الفلسفة اليونانية. وقد مكنته هذه المعرفة من التصدر للتدريس حيث «أفاد جماعة من الطلبة، وناظر، وحقق»[٤٣]. وقام بنقل بعض المؤلفات الفلسفية من السريانية الى العربية، وبلغتْ ترجماته الغاية في الاتقان، اذ وصفه معاصروه بأنه كان «حجة في النقل والترجمة، والتصرف في فنون اللغات»[٤٤]. ونزيد العبارة الأخيرة وضوحا فنقول: ان عيسى بن علي قد أتقن الفارسية، ووضع فيها[٤٥] كتابا، الى جانب اتقانه اللغتين السريانية والعربية.

---

(٣٩) القفطي: (أبو الحسن جمال الدين علي بن يوسف): تاريخ الحكماء، تحقيق جوليوس ليبرت، ليبزغ، طبعة بالأوفست، مكتبة المثنى بغداد، ومؤسسة الخانجي، بمصر، ١٩٠٣، ص٢٤٥.

(٤٠) انظر في هذا بحثنا «عيسى بن علي: سيرته وآراؤه الفلسفية»، مخطوط، ص٧.
وهو دراسة مفصلة لسيرة الفيلسوف، ومؤلفاته، ومصادره الفلسفية اليونانية والاسلامية، وآرائه في نظرية المعرفة، والأخلاق، والسياسة، والطبيعة، اضافة الى الكشف عن مكانته في تاريخ الفلسفة الاسلامية. وسينشر هذا البحث قريبا.

(٤١) ابن النديم: الفهرست، ص ١٤٣.

(٤٢) الشهرزوري: نزهة الأرواح، ج٢، ص١٥٠.

(٤٣) القفطي: تاريخ الحكماء، ص٢٤٥.

(٤٤) أبو حيان التوحيدي: الامتاع والمؤانسة، ج١، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، بلا تاريخ، ص٣٦-٣٧.

(٤٥) ابن النديم: الفهرست، ص ١٤٣.

يضاف الى هذا كله كتابه الضخم «تعليقات على شرح يحيى النحوي لكتاب ارسطو «السماع الطبيعي» في عشر مجلدات»[٤٦]، ورسالته في «ابطال أحكام النجوم» التي ذكرها البيهقي خلال ترجمته للفلكي المعروف بعبد العزيز بن عثمان القبيصي. فقد عدد مؤلفاته، وقال ان من بينها «نقض لرسالة عيسى ابن علي في ابطال أحكام النجوم»[٤٧]. كما وجدت ابن قيم الجوزية يشير اليها، ويذكر نصها، ويقول انها في الرد على المنجمين وابداء تناقضهم[٤٨].

تحليل رسالة عيسى بن علي:

عثرنا على نص رسالة الفيلسوف «في ابطال أحكام النجوم»، ونحن نقرأ في كتاب ابن قيم الجوزية «مفتاح دار السعادة»، حيث ذكر المؤلف أنه سيورد نص رسالة عيسى ابن علي «بلفظها، وان تضمنت بعض الطول والتكرار».[٤٩] كما بيّن أنه سيتعقب كلامه «أو بعض كلامه بتقرير ما يحتاج الى تقرير، وبسؤال يورد عليه، ويطعن به على كلامه، ثم بالجواب عنه»[٤٩]. ومن هنا تداخل كلام الفيلسوف مع كلام ابن القيم، وان ظل الحد الفاصل بينهما واضحا، فابن القيم يبتدىء كلامه في العادة بكلمة «قلت»، أو يعقب بنص يقتبسه من كتب الفارابي أو ابن سينا، أو فخر الدين الرازي أو أبي البركات البغدادي، مما يتبين به بوضوح أن الكلام ليس جزءا من نص الرسالة. فاذا طال الاستطراد عاد ابن القيم الى كلام الفيلسوف من خلال عبارة «قال صاحب الرسالة» وأمثالها.

يفتتح عيسى بن علي رسالته بالاشارة الى «ما قد لهج به وجوه أهل زماننا من النظر في الأحكام والنجوم، وتصديق كل ما يأتي به من ادعى أنه عارف بها من علم الغيب». ونرى في هذه العبارة اشارة واضحة الى أعضاء مدرسة السجستاني ممن نقلنا أقوالهم، فهم قد لهجوا بهذا الموضوع، وهم «وجوه» أهل ذلك العصر. ويفهم من هذا الموقف

---

(٤٦) القفطي: تاريخ الحكماء، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٤٧) ظهير الدين البيهقي: تاريخ حكماء الاسلام، تحقيق محمد كرد علي، ط ٢، مطبعة المفيد، دمشق، ١٩٧٦، ص ٩٢.

(٤٨) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، ص ٤٨٧.

(٤٩) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، ص ٤٨٧.

لعيسى أنه لم يكن – حين كتب رسالته – بعد عام ٣٧٠ هـ، على وفاق مع أعضاء هذه المدرسة، اذ نزع في أواخر حياته المديدة الى علم الحديث والقرآن (٥٠).

تتجلى نزعة عيسى بن علي العقلية، وتحليله الموضوعي، في طريقة تناوله لموضوع أحكام النجوم. انه يقول: انني «اسلم لهم أنها تؤثر تأثيرا ما يجرى على الأمر الطبيعي.. مثل أن يكون النبات ينمو، ويقوى، ويتكامل، وينضج ثمره بالشمس والقمر». أما تأثير النجوم في الأحداث التي تخص الانسان فمنكر عنده. وتتجلى في الرسالة الروح الدينية للمؤلف واضحة الى جانب قدرة كبيرة على المحاكمة العقلية، فكثيرا ما يَرُدُّ القولَ مستندا الى عدم وجود «نص من كتاب الله.. ولا من سنة رسوله». وتظهر في رسالته دلائل واضحة على معرفته الموسوعية بعلوم الجغرافيا، والنبات، والحيوان، والفلك، حيث يذكر فيها أسماء عدد كبير من النباتات، اضافة الى ملاحظات بارعة حول سلوك النبات والحيوان، وتأثرهما بالعوامل الطبيعية، كالحرارة، والرطوبة، والضوء.

ان للرسالة التي نقدم لها أهمية أخرى تتمثل في تعريفنا بموقف الفيلسوف – في أواخر عمره – من أعضاء مدرسة السجستاني. فقد ذكر ابن القيم: ان عيسى بن علي قد **«كتبها لما بصره الله رشده، وأراه بطلان ما عليه هؤلاء الضلال، الجهال، كتبها نصيحة لبعض اخوانه**(٥١)». وبالنظر الى معرفة عيسى باعضاء الجماعة الفلسفية في بغداد، ونقل التوحيدي في «المقابسات» لنص احدى محاوراتهم حول أحكام النجوم، فان من السهل أن ندرك أن فيلسوفنا، كان يعالج، في هذه الرسالة، واحدة من القضايا التي شغلت الفكر العربي – الاسلامي، في بداية فترة الانحدار، متخذا منها موقفا معارضا لموقف الجماعة.

تتألف رسالة عيسى «في أبطال أحكام النجوم» من مقدمة يبيّن فيها الغرض من تأليف الرسالة وما ستشتمل عليه من موضوعات، مثل «اختلافهم في أصول الأحكام... وقبيح اعتقادهم، وما يستدل به من طريق النظر والقياس على ضعف مذهبهم». ويقول المؤلف انه لن يكون «مستعملا للتحامل على من أثبت تأثير الكواكب في هذا العالم،

---

(٥٠) انظر قول ابن قيم الجوزية في المسألة لاحقا.

(٥١) ابن قيم الجوزية: مفتاح دار السعادة، ص ٤٨٧.

وترك انصافهم كما فعل قوم ردوا عليهم. بل أسلّم لهم أنها تؤثر تأثيرا ما يجرى على الأمر الطبيعي».

أما القسم الأول فيتضمن ذكر اختلافهم في الأصول، وكيف تؤثر النجوم في احداث الطبيعة وأشخاص الانسان. وهنا يذكر أراء بعض النجوميين كبطليموس ودورثيوس، وانطيقوس وذيسموس.

وينتقل بعد هذا الى ذكر ما يستبشع من أقوالهم ويستدل به على مناقضتهم. ومن ذلك اختلاف احكامهم وتناقض عللها، وتضارب تفسيراتهم، وفساد احتجاجهم لها بما قالته الفلاسفة في أمور الفلك. ويبدو أن عيسى قد ضمن في رسالته، هاهنا، نصاً أو ملخصا لما كتبه أبو معشر الفلكي، وغيره ممن بيّن أثر العوامل الجغرافية على النبات والحيوان والانسان، وأثر القمر على ظاهرة المدّ، حيث وصفها وصفا شاملا، دقيقا وملفتا للنظر.

هنا يتدخل ابن القيم – كما سبق أن فعل – ليعرض وجهة نظر الاسلام، ويثبت رأي أبي الوفاء بن عقيل الحنبلي، كما ينقل نصا نادرا لأبي البركات البغدادي من كتاب ذكر أن اسمه «التعبير»، اضافة الى نصوص ارسطية من كتاب «السماع الطبيعي»، ونص من كتاب بطليموس «الأربعة» مشروحا.

وفي الجزء الأخير من الرسالة يذكر الفيلسوف مجملا من احتجاج النجوميين والاحتجاج عليهم. وهذا الجزء قصير الى درجة توحي بأن الرسالة ناقصة، وفيه مناقشة لأحكام النجوميين، ورد لفهمهم الفاسد لآيات القرآن، مما أرادوا أن يموهوا به على الناس، مشروعية علمهم واعتراف الاسلام به. والآن الى نص عيسى بن علي.